الطبعة الثانية

تدليس الإعلام في عصر الحرية

محمد عبيد

دار صفقات كتابية للنشر والتوزيع

تدليس الإعلام في عصر الحريّة

ردًا على بعض الشبهات التي يثيرها الإعلام

محمد عبيد

كتاب : تدليس الإعلام في عصر الحرية.
الطبعة : الثانية .

الناشر : دار صفقات كتابية للنشر والتوزيع .
إصدار : ٢٠٢٣ .

للتواصل مع الدار يمكنك التواصل على واتساب: ٠١٠١٦٣٢٧٩٤٧

كما يمكنك قراءة آخر الأخبار على موقعنا

https://safaqat-kitabia.blogspot.com

. جميع الحقوق محفوظة الناشر ©

وأي اقتباس، أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرِّض صاحبه للمساءلة القانونية، أما حقوق الملكية الفكرية والآراء، والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

يمثّل هذا الكُتيّب الصغير مجموعة من المقالات التي قام المؤلف بنشرها في الرد على من يُحاولون تشويه صورة الإسلام وإظهاره على أنه عاجز عن إدراك الكنه الإنساني في هذه الحياة.

نسأل الله أن يُفيد به، آمين.

تأبى بعض القنوات عندما يرون فرحة المسلمين، إلا أن تزيّف الحقائق بغير علم ولا حجة، فأقل إنسان في الثقافة والمعرفة يُدرك ببداهة أن النقض هو الهدم، وهو طريق الضعفاء علميًا وفكريًا في مسائل العلوم والمعرفة، وأن النقد هو التقويم والتهذيب والبناء، وهو طريق العلماء وطلبة العلم والباحثين عن الحق.

لكن قنوات الإعلام تصر على أن تُمغِّص على المسلمين هذه الفرحة!

فقد رأينا بعض القنوات، والصحف، والمواقع، تنتقض بتدليس وجهل المظهر العام للخطاب الدعوي الإسلامي ناسين أو جاهلين حقيقة النقض التي هي من شيم الفقراء فكريًا ومنهجيًا.

ويتمثل تجريح هذا الإعلام وكذبه في قضايا عديدة يحرفون حقيقتها إلى شبهات تطعن في عقائد المسلمين وأفكارهم..

الشبهة الأولى

الإسلام منهج عنصري ضد المرأة!

عرض الشبهة:

يقولون: إن المسلمين صاروا بالحب يُخالفون نصوص دينهم، فها هم المسلمون يتزوجون بالنساء غير المسلمات ويمنعون المسلمات من الزواج بغير الرجال المسلمين.. فما هذا الظلم للنساء المسلمات، وما هذا التمييز؟

الرد على الشبهة:

–خلطت هذه القنوات بين أشياء عدة، ولتوضيح زيفها نقول:

أولًا: إن المسلم جائز له الزواج من غير المسلمة من "أهل الكتاب" فقط، وليس له الحق في الزواج من غير أهل الكتاب من المشركات.

ثانيًا: أهل الكتاب ليسوا كفارًا مُشركين في جملتهم؛ بل منهم ذلك، لكن عمومهم أهل كتاب كما سماهم القرآن الكريم وفرَّق بينهم وبين المشركين

والكفار "لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين..."، "إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين."...

فقد فرَّق الله عز وجل بين من كفر من أهل الكتاب وأشرك وبين عموم أهل الكتاب، وهذا التمييز يدل على عدم إطلاق الكفر أو الشرك عليهم إجمالًا؛ وإلا لما فرَّق الله في تسميتهم!

وأما قوله تعالى: "ولا تمسكوا بعصم الكوافر" فالآية في الكوافر، وليست في أهل الكتاب عمومًا.. كما وضحنا الفرق بين عموم أهل الكتاب، ومن كفر وأشرك.

والله عز وجل قال: "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ".

فقد أحل الله عز وجل الزواج بالمحصنات العفيفات من أهل الكتاب.

ثالثًا: إن التمييز القائم على العدل لا حرج فيه، ومن العدل أن تُراعى طبيعة كل من الرجل والمرأة، فللرجل مهمة الإدارة في النظام الأسري الإسلامي وهذا ما أشار الله إليه: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ".

فكيف تأمن المرأة المسلمة التي تريد الزواج من غير المسلم على أبنائها من الانجرار إلى عقيدة يأباها الإسلام، ومعلوم أن من مقاصد الشريعة العليا حفظ الدين؟

فالأساس أن الرجل يُدير والمرأة تربي. ويساعد كل منهما الآخر في الارتقاء بالأسرة والمجتمع. ومن هنا فإن الاحترام والتوقير للمرأة الكتابية ودينها موجود في فكر المسلم وعقيدته، أما في فكر غير المسلم فإن محمد رسول الله "كاذب" وهذا يؤثر سلبًا على حياة الأسرة ودينها، لذلك فعندما يدير الرجل المسلم البيت فإن ذلك أحرى بحفظ الدين والأسرة والمشاعر بين الزوجين.

رابعًا: هناك أُناس من أهل الكتاب كريمي الخلق، يحسنون معاملة زوجاتهن حتى لو كن على غير دينه. لكن هذا الإحسان لغير الكتابية نادرًا ما يوجد لتكذيبه بالنبي محمد، ورؤيته للإسلام على أنه افتراء ودجل!

وهذا النادر لا يهدم القاعدة التي تقرر حفظ الدين والأسرة وسد ذرائع الفساد.

خامسًا: كانت مُهانة قبل الإسلام وغير مُصانة فجاء الإسلام فأعلى من قيمتها وحررها من القيود التي تقيدها، قال تعالى عنها:

"وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ".

"أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ".

"لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ".

"إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" إلى آخِر الآية "أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا".

وقد وردت عدة أحاديث نبوية شريفة تدل بكل وضوح إلى تكريم المرأة في الإسلام ومنها: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم لنسائهم".

"إنما النساء شقائق الرجال".

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم".

"لا يَفْرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر". ومعنى لا يفرك مؤمن مؤمنة أي: لا يبغضها؛ لأنه يتنافى مع حسن العشرة.

وقال أيضًا: "إنما النساء شقائق الرجال".

ونتيجة هذه القيمة للمرأة في الإسلام هي ما جرت على لسان المستشرقين؛ لا سيما غوستاف لوبون الذي يقول: "إن الإسلام، الذي رفع المرأة كثيرًا، بعيدٌ من خفضِها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي، فقد سبقنا إلى مثله كوسان دوبرسفال، ثم مسيو بارتلمي سنت هيلر.".

الشبهة الثانية

التعدد حرام بنص القرآن!

عرض الشبهة:

قالت هذه القنوات: إن القرآن لما أباح تعدد الزوجات بشرط العدل في قوله تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا".

بيّن أن العدل مُحال أيضًا فقال: "وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا".

وبهذا ينتفي الشرط ويكون التعدد والزيادة على واحدة حرام.

الرد على الشبهة:

أولًا: الإسلام لم يجئ بالتعدد؛ بل جاء بالتحديد، فقد كان التعدد موجود قبل الإسلام حتى في اليهودية ولم ترفضه النصرانية، وكان التعدد بالعشرات، بل بالمئات.. فلما جاء الإسلام حدد أربعًا فقط.

ففي اليهودية بعيدا عن كون النص محرف أم لا موجود عن سليمان: "وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ ٣ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ".

وجاء المسيح فقال: متى ٥: ١٧ – ١٩ "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ".

وما جاء في الاكتفاء بزوجة واحدة في المسيحية، إنما هو قول بولس وليس قول المسيح، كما أن النص يبين أنه على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر، انظر إلى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ١ "وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُمْ لِي عَنْهَا: فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لاَ يَمَسَّ امْرَأَةً".

2"وَلكِنْ لِسَبَبِ الزِّنَا، لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ، وَلْيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا".

3"لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضًا الرَّجُلَ".

4"لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ. وَكَذلِكَ الرَّجُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهِ، بَلْ لِلْمَرْأَةِ".

5"لاَ يَسْلُبْ أَحَدُكُمُ الآخَرَ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوافَقَةٍ، إِلَى حِينٍ، لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ، ثُمَّ تَجْتَمِعُوا أَيْضًا مَعًا لِكَيْ لاَ يُجَرِّبَكُمُ الشَّيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ نَزَاهَتِكُمْ".

6"وَلكِنْ أَقُولُ هذَا عَلَى سَبِيلِ الإِذْنِ لاَ عَلَى سَبِيلِ الأَمر".

7"لأَنِّي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا أَنَا. لكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ مَوْهِبَتُهُ الْخَاصَّةُ مِنَ اللهِ. الْوَاحِدُ هكَذَا وَالآخَرُ هكَذَا".

ثانيًا: العدل المشروط في الآية "فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً" المراد منه هنا "العدل المادي" في المسكن والملبس والطعام والشراب والنفقة.

أما العدل المقصود في الآية وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ" المراد منه "العدل في الميل القلبي.

ويدل على ذلك سيرة رسول الإسلام وتطبيقه للمنهج الإسلامي تطبيقًا صحيحًا.

وقد كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يُحب بعض زوجاته كثيرًا عن البعض الآخر، فقد كان يُحب عائشة كثيرًا، ولما قالت له عائشة عن خديجة "أبدلك الله خيرًا منها" قال "والله ما أبدلني خيرًا منها".

فهذه طبيعة القلوب البشرية قد تميل إلى بعض الزوجات عن بعضهن الآخر، وقد كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول: "اللهم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تلومني فيما تملك ولا أملك".

ثالثًا: على ما يوجد في التعدد بالنسبة للمرأة للأزواج من أضرار طبية معروفة.. إلا أن الإسلام أراد أن يكون الأبناء في حصن الشرع والقانون محاطين بالعناية والمحافظة دون تشرد في المجتمع وإقصاء مترتب على غلطة أمه وأبيه.

فالمرأة في فترات الحيض والولادة والفترة الأخيرة من الحمل يتعطل استعدادها لزوجها بسبب ما يعتريها من أعذار خارجة عن إرادتها.. فماذا يصنع أربعة رجال بامرأة غير مستعدة جنسيًا في هذه الفترات؟

وإن حملت فلمن ينتسب الولد؟

وإن نسب لأحدهم، فما درجة قرابة الباقين له؟

لأجل هذا وغيره كان التعدد مضبوط بالعدل الذي يصوغ حياة الأسرة بالسعادة وعدم الشقاق.

الشبهة الثالثة

زواج الطفلة!

بهذا الفهم يتحدث بعض الإعلاميين عن السيدة عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقولون إنها أصبحت زوجة وهي في سن الطفولة!

عرض الشبهة

استبعدت هذه القنوات أن يكون النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تزوج بالسيدة عائشة وهي بنت تسع سنين لـ حديث السيدة عائشة رضي الله عنها "تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ بِمَكَّةَ، وَبَنَى بِي بِالْمَدِينَةِ وَأَنَا بِنْتُ تِسْعٍ"، قائلين: كيف لرجل في الخمسين أن يتزوج بنت تسع سنين؟!

الرد على الشبهة

أولًا: شروط الزوجة في الإسلام:

١) شرط الإسلام الزواج بالمرأة البالغة التي تميزت ببلوغها عن طبيعة الأطفال والصبيان.

٢) شرط الإسلام الزواج بالمرأة العاقلة الرشيدة التي تُحسن التصرف في الأمور وتُجيد الرعاية.

٣) شرط الإسلام الزواج بالمرأة التي تُطيق الزواج جسديًا ونفسيًا.

ويُجمل هذه الشروط قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ". وتفصل هذه الآية سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: نساء العرب الأوائل كن مُهيئات بهذه الشروط ومُستوفيات لهن؛ حتى لقد تزوجت فاطمة الزهراء بنت النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي بنت العاشرة أو الحادية عشر من عمرها بسيدنا علي كرم الله وجهه، ولم

يتحدث العرب آنذاك عن هذا ولم يتخذوا هذه المسألة طعمًا ليطعنوا في رسول الله على ما بينه وبينهم من عداوة وخصومة.. لماذا؟

لأن هذه كانت العادة حين ذاك في زواج البعض بشرط أن تكون مُستوفية شروط الزوجة التي تصلح لأن تكون زوجة ترعى أُسرة وتُقيم مُجتمعًا.

ثالثًا: زواج الكبار بالصغيرات لم يكن بدعة محمد وإنما كان عادة العرب، ومما يدل على ذلك:

١) عرض عمر على أبي بكر أن يتزوج ابنته الشابة "حفصة" وبينهما من فارق السن مثل الذي بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين "عائشة".

٢) وتزوج عبد المطلب جد الرسول من هالة بنت عم آمنة التي تزوجها أصغر أبنائه عبد الله والد الرسول.

3) تزوج عمر بن الخطاب من ابنة علي بن أبي طالب وهو أكبر سنا من أبيها.

أخيرًا: ما يعاب اليوم على من يُـطالبون بزواج القاصرات أعابه الإسلام وأيده، فلا يجوز في نظر الإسلام أن يُـقام بيت على عقول الأطفال والصبيان، وهذا ما قرره فقهاء المسلمين.

يقول الشوكاني: "أما مع عدم المصلحة المعتبرة، فليس للنكاح انعقاد من الأصل، فيجوز للحاكم بل يجب عليه التفرقة بين الصغيرة ومن تزوجها".

وذهب الفقهاء إلى أن من موانع التسليم الصغر، فلا تسلم صغيرة لا تحتمل الوطء إلى زوجها حتى تكبر ويزول هذا المانع؛ وقال الشافعية: ولو قال الزوج: سلموها لي ولا أطؤها حتى تحتمله، فإنه لا تسلم له وإن كان ثقة؛ إذ لا يؤمن من هيجان الشهوة.

يقول النووي في (روضة الطالبين): المراد بالصغيرة والصغير من لا يتأتى جماعه، وبالكبير من يتأتى منه الجماع، ويدخل فيه المراهق.

وفي الفتاوى الهندية: أكثر المشايخ على أنه لا عبرة للسن في هذا الباب وإنما العبرة للطاقة، فإن كانت نحيفة مهزولة لا تطيق الجماع، ويخاف عليها المرض لا يحل للزوج أن يدخل بها وإن كبر سنها.

ولهذا تأخر بعد العقد عليها بنحو ثلاث سنوات لعدم طاقتها آنذاك، كما في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم "تزوجها وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين".

وقد قرر نبي الإسلام قاعدة عظيمة في هذا بفعله عندما خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها صغيرة. فخطبها علي، فزوجها منه. رواه النسائي.

زوجها وهي لم تتعد الثالثة عشر من عمرها، وقوله "إنها صغيرة" دليل على عدم صغرها عند زواجها من علي رضي الله عنه، واذا علمت أن زواجها في هذا السن الذي ذكرنا؛ علمت حكمة الإسلام في وضع شروط الزوجة التي لا يُـخالفها مُنصف طالب للحق.

هذه هي المخدرات التي تدخل كل بيت من خلال الإعلام الذي بعد عن وظيفته الأساسية في تعليم الناس، وبث الوعي بينهم، وتقديم الحق النافع الصحيح لهم ليُحيوا وقته لا أن يُضيعوه بالسفسطة والضلال.

مع أن القانون يجرم ما يحض على الخصومة والكراهية أو الطعن الشارد بغير حق، وقد جاء في القانون المصري: "لا يجوز بأى حال من الأحوال الترخيص أو التصريح بإنشاء أية وسيلة صحفية أو إعلامية أو موقع إلكتروني، أو السماح له بالاستمرار في ممارسة نشاطه متى كان يقوم على أساس تمييز ديني أو مذهبي، أو التفرقة بسبب الجنس أو الأصل، أو على أساس طائفي أو عِرْقي، أو تعصب جَهوي، أو إلى ممارسة نشاط معاد لمبادئ الديمقراطية، أو على نشاط ذي طابع سري، أو تحريض على الإباحية، أو على الكراهية أو العنف، أو تدعو إلى أي من ذلك أو تسمح به".

فهل نأمل أن يرجع هذا الإعلام لوظيفته المنشودة؟

وهل يبصر القائمون على هذا الصرح الكبير هذه السفسطة التي تحمل معها التعصب الجاهل والفكر الهادم، كما هي مهمتهم الموضوعة في القانون والذي

ينص على: "وللمجلس الأعلى، للاعتبارات التي يقتضيها الأمن القومي، أن يمنع مطبوعات، أو صحف، أو مواد إعلامية أو إعلانية، صدرت أو جرى بثها من الخارج، من الدخول إلى مصر أو التداول أو العرض، وعلى المجلس أن يمنع تداول المطبوعات أو المواد الإباحية، أو التي تتعرض للأديان والمذاهب الدينية تعرضًا من شأنه تكدير السلم العام، أو التي تحض على التمييز أو العنف أو العنصرية أو الكراهية أو التعصب"؟!

آيات تُفهم خطأً!

قديمًا عندما كانت تستشكل آية من كتاب الله عند البعض، كانوا يُسارعون إلى العلماء "الثقات" ليبينوها لهم ويُدركوا حقيقتها؛ أما الآن وقد خالجت أفكارنا الشبهات المزيّفة من كل جانب، إعلاميًا، وفي مؤسسات التعليم غير المؤهلة، وفي الشوارع والطرقات... إلى آخره.

فقد لاحظنا في الآونة الأخيرة سيلًا عارمًا من الانتقاص من كتاب الله، ومحاولة (فاشلة) لإظهاره على غير هيئته العظيمة، ومن الواجب على كل مسلم أن يُسارع إلى معرفة الحقيقة كما وجهه دينه ونبيه.

ونقف في هذا المقال مع ست آيات من كتاب الله تُفهم خطأً عند البعض، وسنحاول إزالة هذا الإشكال بعون الله وقدرته.

الآية الأولى:

يقول الله تعالى: (فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)

يتساءل البعض: لماذا أصدر الله حكمًا يظلم النساء كهذا، مع أننا نرى بعض النساء محترمات بعيدات عن الكيد؟!

-الجواب: الكيد هو التدبير والتخطيط، ومنه قول الله تعإلى: "إن كيدي متين"، أي تدبيري قوي وشديد.

وقوله: (إن كيدكن عظيم)، ليس قول الله عز وجل وليس حكمًا إلهيا بأن كيد النساء عظيم.

وإنما هذا قول الشاهد أو قول العزيز لا قول الله عز وجل، إنما حكاه الله لنا عنهم لنعرفه، وهو تعبير من وجهة نظر القائل وقد يكون صحيحًا أو خاطئًا حسب الواقعة والحال.

وقد وردت عدة أحاديث نبوية شريفة تدل بكل وضوح على تكريم المرأة في الإسلام ومنها:

قول الرسول -صلى الله عليه وسلم:- (ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم).

فالإسلام الذي أعطى المرأة هذه الحقوق، وجعل لها هذه الكرامة بعيد كل البعد عن تسفيهها أو الانتقاص من قدرها!

الآية الثانية:

يقول الله تعالى: (لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا) "النساء".

يتساءل البعض:

هل يطلب الله منا أن نكون سيئي الأخلاق؟

كيف يحب الله الجهر بالسوء؟!

-الجواب:

يجب أن نعلم أن من أعظم مقاصد الإسلام "الحثُ والحضُ على مكارم الأخلاق" . حتى لقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم الغرض العام من مبعثِه فقال: "إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق".

إذا ما معنى الآية؟!

المعنى: الله لا يحب شيئين:

أولاً: أن تذكر الصفات السيئة التي في الآخرين.

ثانيا: أن تدعو على الآخرين.

إلا في حالة واحدة وهي: إذا ظُـلمت أو اعتدى عليك إنسان مُـعين، في هذه الحالة مباح لك أن تدعو على هذا الإنسان السيئ وأن تَذكر صفاته السيئة التي ظلمك من خلالها.

والحكمة من هذا:

أولاً: لتبين للناس عورته، وليحذروا من سوئه أن يصيبهم.

ثانيًا: لأن في الدعاء تطييبُ لقلب من وقع عليه الضرر.

لكن يجب أن نعلم أن كل هذا في إطار "العدل" أي: لا يبغي المتضرر ولا يتعدى حدوده في الدعاء على من ظلمه أو يذكر صفاتًا مذمومة زيادة على التي فيه، لأن الله عز وجل لا يُـحب الإنسان البذيء الفاحش.

الآية الثالثة:

يقول الله تعالى: "الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ"..

–القوامة في نظر الإسلام هي المسؤولية العامة التي جعلها وظيفة للرجل تكريمًا للمرأة، فهي إذًا درجة تكليف لا قهر.

فالرجل مسؤول عن رعاية أسرته مسؤولية تامة، فهو الذي عليه أعباء النفقة وأعباء الإدارة لهم، ووظيفة المرأة الأولى والمهمة هي تربية الأولاد تربية صالحة سليمة.

وقد يقارب هذا المعنى ما جاء في النصرانية في رسالة بولس إلى أهل أفسس (٥_ ٢٢،٤): "الرجل هو رأس المرأة".

لكن في الإسلام الرجل ليس الرأس ولا القدم وإنما هو عضو كالأنثى دون تمييز، فكما أن دور الرجل مهم فكذلك دور المرأة أيضًا مهم.. فالرجل يمثل الذراع الأيمن في الجسد والمرأة تمثل الذراع الأيسر، وكلاهما يتحدان لخدمة البيت والمجتمع فيصنعون حياة مليئة بالحب والسعادة والصلاح.

الآية الرابعة:

يقول الله تعالى: "وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ".

يقول صاحب الفهم الشارد: إن محمد أُعجِب بزوجة متبناه "زيد بن حارثة" فطلقها منه وتزوجها، وأنه أخفى في نفسه عشقها.

-الجواب: إن زواج النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- من زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة (عادة التبني) التي كانت تُحرم على المتبني ما يحل للمتبنى ومنه الزواج بزوجته إن طلقها، ولو أراد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الزواج من زينب لأنها أعجب بها لكان قد تزوجها قبل زيد بن حارثة إذ إن زينب بنت جحش هي بنت عمة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والنبي هو نفسه من زوجها لزيد، ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه، فالأمر كله يدور على أن هذه هي إرادة الله ولا دخل للإرادة البشرية فيه.

والذي أخفاه النبي -صلى الله عليه وسلم- في نفسه كما جاء في قوله (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ

أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)) ليس هو العشق لزينب والولع بها كما فهمت عقول الشاردين عن الصواب؛ وإنما هو إخفاء لخبر الله الذي أعلنه بأن زينب ستكون زوجًا له، لكنه لم يصرح به خشية أن يقول الناس إنه تزوج زوجة ابنه بالتبني، ولو كان النبي مدعيًا لكتم هذه الآية "وتخشى الناس والله أحق..." التي تعاتبه على عدم تصريحه بأن زينب ستكون زوجه في المستقبل، وقد طلقها زيد للخلاف الواقع بينهما.

الآية الخامسة:

يقول الله عز وجل في بدايات بعض سور القرآن: "الم"، "الر"، "كهيعص"، "حم"، "عسق".

يتساءل البعض: لماذا يعطينا الله تبارك وتعإلى كلمات لا نفهمها؟

-الجواب: الله عز وجل لا يعطينا ما لا نفهمه، وهذه الحروف المُقطعة لها دور عظيم في البيان القرآني وإظهار فصاحته.

فهذه الحروف تفيد (التنبيه) لما سيعقبه من تحدّ وبيان لمن يعرض عن القرآن.

فكأنه يقول: أيها العرب، يا أعلم الناس باللغة، يا أعلم الناس بالفصاحة، يا من تتباهون بالكلمة وتُقيمون بها الأسواق بيعًا وشراءً، أيها البلغاء: (ا ل م ، ا ل ر ، ح م ، ع س ق ، ك ه ي ع س ق ..) أليست هذه هي حروف اللغة العربية التي تتفاخرون بها وتؤلفون بها الأشعار والهجاء؟

لقد جاءكم كتاب من ربكم العظيم بهذه اللغة يتحدى العالمين أن يأتوا بمثله؛ بل بأقصر سورة من مثله!

يقول تعالى: "وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ."

قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا": (قوله (فإن لم تفعلوا) يعني في ما مضى، (ولن تفعلوا) أي : لن تطيقوا ذلك فيما يأتي، وفيه إثارة لهممهم وتحريك لنفوسهم، ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها).

الآية السادسة:

قال تعالى في سورة الضحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"ووجدك ضالا فهدى"

وقال في سورة النجم: "ما ضل صاحبكم وما غوى".

يتساءل البعض قائلا:

هل ضل رسول الله؟

وإذا لم يكن قد ضل فلماذا قال الله عنه ذلك؟

ولماذا قال في سورة الضحى "ووجدك ضالا فهدى" ولم يقل فهداك، هل هناك خطأ لغوي في القرآن؟

–الجواب، أولاً: لماذا قال في سورة الضحى "ووجدك ضالا فهدى" ولم يقل فهداك؟

هذا ليس خطأ لغويا؛ وإنما هو فصاحة وبلاغة؛ فحذف المفعول؛ وقال "ووجدك ضالا فهدى" ولم يقل فهداك،

لأن القرآن ليس مجرد كلام عربي؛ بل هو أفصح الكلام. فعبّر هكذا لغرض لطيف وهو: الإطلاق والعموم، ولكي لا يظن البعض أن الهداية منحصرة في النبي صلى الله عليه وسلم.

فالله عز وجل هدى النبي بالوحي وجعله هداية لكل من يريد من البشر. فقال "ووجدك ضالا فهدى" أي فهداك يا محمد وهدى خلقا كثيرا. وقال "فآوى" ولم يقل فآواك لأن الله آواه وآواي خلقا كثيرا. وقال "ووجدك عائلا فأغنى" ولم يقل فأغناك لأن الله أغناه وأغنى خلقا كثيرا.

ثانيا: ما معنى الضلال؟

لقد نفى الله سبحانه عن نبيه الانحراف نفيا قاطعا في تبليغه للرسالة فقال في سورة النجم: "ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى".

أما قوله تعالى: "ووجدك ضالا فهدى".

فقد وردت كلمة "الضلال" بأكثر من معنى في القرآن الكريم:

-1وردت بمعنى النسيان، نحو قوله تعالى: "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى".

-2وجاءت بمعنى الغفلة، نحو قوله سبحانه على لسان سيدنا موسى عليه السلام لفرعون: "قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ".

-3وجاءت بمعنى المحبة، نحو قوله تعالى على لسان أولاد سيدنا يعقوب: "إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "أي في حب ظاهر ليوسف، وهو المشار إليه في قوله تعالى على لسانهم أيضًا: "قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ".

ويكون معنى "ووجدك ضالا فهدى" على الوجه الثالث: أي ووجدك محبًا للهداية فهداك إليها.

ويشهد لصحة هذا الوجه والتأويل ما يلي:

أولًا: ما صح من سيرة رسول الله قبل النبوة، وخلوته في غار حراء حبا في الوصول إلى الحق وطلبًا للهداية، حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي.

ثانيا: أن من أسماء المحبة عند العرب "الضلال"، ومن ذلك قول الشاعر العربي مُعبرا عن حبه:

هذا الضلال أشاب مني المفرقا *** والعارضين ولم أكن متحققا

عجبا لعزة في اختيار قطيعتي *** بعد الضلال فحبلها قد أخلفا

التعارض المزعوم في القرآن!

إن ما يسمى بالتعارض في القرآن الكريم ليس من نتائج إجتهادات الطاعنين في القرآن ، وإنما هو علم استنبطه المسلمون أنفسهم وعلموه لقليلي الخبرة في للقرآن!

إن علماء المسلمين هم من استخرجوا هذه النصوص، التي توهم معارضتها لبعضها البعض، وبيّنوا لعامة الناس أمرها، وهذا هو دور علماء الإسلام في مجال التصحيح للأفهام الخاطئة، ومن هذه النصوص الآتي:

* قال تعالى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}، {وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}، {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ}

يدّعي صديقي الباحث عن الحق أن هذه الآيات وغيرها تتعارض مع قوله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}، {لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى}.

والجواب عنه: إن {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}، أي: تركوا طاعة الله، وأعرضوا عن اتباع أمره، فتركهم الله من توفيقه، وهدايته، ورحمته. {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}،

وليس المراد منه معناه المعهود بين الناس من قصور العلم والذاكرة، والآية نافية له في حق الله سبحانه.وهذا من أسلوب المشاكلة والمقابلة والمجاراة، وهو أسلوب معهود في كلام العرب، بحيث يذكرون الشيء بلفظ غيره؛ لــوقوعه في صحبته. فــهو من قبيل إطلاق الملزوم وهو النسيان، وإرادة اللازم وهو الترك؛ ومن هذا ما جاء في قول عمرو ابن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا .. فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى جزاء الجهل جهلًا، مصاحبة للكلام، ومشاكلة له.

* قال تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ}، {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ}

هذه النصوص تتعارض مع قوله تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ}، {وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ).

والجواب: إن السؤال قسمان: سؤال توبيخ وتقريع وأداته غالبًا: لم، وسؤال استخبار واستعلام وأداته غالبًا: هل.

فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع، والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام، وسؤال الله للرسل: {مَاذَا أَجَبْتُمْ}، لتوبيخ الذين كذبوهم.

* قال تعالى: {قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ}، يتعارض مع قوله: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا}

والجواب: إن معنى قوله: {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} أي: بطاعة الله وتصديق الرسل {فَفَسَقُوا} أي: بتكذيب الرسل، ومعصية الله تعالى.

* قال تعالى: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَان مُبِين}، يتعارض مع قوله تعالى: {فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ}

والجواب: لـقد شبهها بالثعبان في عظم خلقتها، وبالجان في اهتزازها وخفتها، وسرعة حركتها، فهي جامعة بين العظمة، وخفة الحركة على خلاف العادة؛ وهذا من مظاهرة الإعجاز المتنوعة الخارقة للعادة.

* قوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}، {لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى}، يتعارض مع قوله تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ} {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِم}

والجواب: إن الأصل هو أن المرء محاسب عن عمله، لكن من كان عمله سببًا في إضلال غيره، فهذا عمله أيضًا؛ لأنه هو المتسبب فيه. وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ".

وفي رواية أخرى: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا، ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا".

* قوله تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}.

يتعارض مع قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ}، {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ.

والجواب: إن عدم الإكراه مبدأ أصيل في القرآن أكد الله تعالى عليه كثيرًا، ومنه قوله تعالى: {وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ.

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ.

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ.

أما الآيات التي يظن أنها تتعارض مع عدم الإكراه، فهي للمعتدين على المسلمين، وسياق الآيات يدل على ذلك: {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ

يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ *

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

والآية الأخرى: {وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ.

* قوله تعالى: {وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ}، يتعارض مع قوله تعالى: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}.

والجواب: إن أهل الكتاب بيَّنَهم الله في كتابه، وهم اليهود والنَّصارى، سُمُّوا أهلَ الكتاب؛ لأنَّ الله أنزل كتابَيْن على بني إسرائيل؛ الأول على موسى، وهو التوراة، والثاني على عيسى، وهو الإنجيل، فهم أهل كتاب، لكنَّهم حرّفوا كتُبَهم، وكفَروا بِرَبِّهم.

ولكن الله أجاز لعباده ذبائح أهل الكتاب، وحل نسائهم الحرائر العفيفات، كما قال تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}، فهذا حكم عام بعدم حل الزواج منهم، ثم خصص طائفة منهم بحكم خاص.

* قوله تعالى: {قُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}، يتعارض مع قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

والجواب: إن الله -عز وجل- من نعمه على الإنسان أن جعله مخيرًا فيما يترتب عليه من ثواب وعقاب، وهي الأعمال التي كلف الله بها عباده؛ ولأن الإنسان حر مختار في هذا الجانب، الذي يشمل الحياة كان لا بد من وجود الشر، فالحرية التي يتمتع بها الإنسان تجعله يفعل الأشياء؛ فإن كانت صائبة صحيحة ترتب عليها الخير، وإن كانت خاطئة ترتب عليها الشر.

فالشر نتاج للحرية كما أنه نسبي، وليس مطلقًا وموظفًا دائمًا للخير، فاللهُ -عز وجل- لم يأمر الشر بل نهى عنه، وأمر بالخير، والشر لازم لوجود التكليف، وإلا فما فائدته إذا كانت الحياة كلها خيرًا؟

ولمعرفة الخير أيضًا يلزم وجود الشر. يقول الطاهر ابن عاشور: في هذه الآية وصف الله تعالى برب العالمين، وهو مفيد التعليل لارتباط مشيئة من شاء الاستقامة من العالمين لمشيئة الله؛ ذلك لأنه رب العالمين فهو الخالق فيهم دواعي المشيئة، وأسباب حصولها المتسلسلة وهو الذي أرشدهم للاستقامة

على الحق، وبهذا الوصف ظهر مزيد الاتصال بين مشيئة الناس الاستقامة بالقرآن، وبين كون القرآن ذكرًا للعالمين.

ويقول البغوي: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}؛ أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله، وفيه إعلام أن أحدًالا يعمل خيرًا إلا بتوفيق الله، ولا شرًا إلا بخذلانه، أي: تركه لنفسه وعدم توفيقه.

وهنا ندخل في التوفيق والخذلان؛ فالتوفيق معونة لمن أقبل على الحق وأراده، والخذلان يكون للجاحدين للحق المنكرين له، فمن أناب إلى الحق وطلبه فإن الله {يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ}، ومن زاغوا {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

* قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ}، يتعارض مع قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا.

والجواب: إن المُتَوَفِّي الحقيقي هو الله -عز وجل-، والملائكة {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، والملائكة تَتوفَّى بأمر الله وإرادته، ففي كلتا الحالتين الله هو المُتَوَفِّي الحقيقي.

* {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، يتعارض مع قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}.

والجواب: إن الشفاعة المنفية للكفار والمشركين، والشفاعة المثبتة -بإذن الله- لعصاة المؤمنين، فالمؤمن ليس معصومًا، وقد يقترف الذنوب، والذنوب ثلاثة: الكبائر، والصغائر، واللمم.

والله قال: {إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا.

فمن وقع في الصغائر من المؤمنين غير مصرٍّ عليها له الشفاعة بإذن الله يوم القيامة، وإن تاب؛ تاب الله عليه لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ".

* قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}، يتعارض مع قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

والجواب: إن الهداية نوعان:

هداية توفيق، وهي للمؤمنين من الله.

هداية بيان وإرشاد، وهي لجميع الناس من الرسول.

والمنفية هي التوفيق، والمثبتة هي البيان والإرشاد.

* قوله تعالى: {وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ}، يتعارض مع قوله تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}.

والجواب: كل من عند الله تقديرًا، وما أصابك من سيئة فمن نفسك اكتسابًا، يقول الطاهر ابن عاشور: "ولما أمر الله رسوله أن يجيبهم قال: {قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ}؛ مشاكلة لقولهم، وإعرابًا عن التقدير الأزلي عند الله، وأما قوله:{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}فلم يؤت فيه بكلمة: "عند"،إيماء إلى أن ابتداء مجيء الحسنة من الله، ومجيء السيئة من نفس المخاطب ابتداء المتسبب لسبب الفعل، وليس ابتداء المؤثر في الأثر.

* قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ}، يتعارض مع قوله تعالى: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}

والجواب: وردت كلمة "الضلال" بأكثر من معنى في القرآن الكريم:

بمعنى النسيان، نحو قوله تعالى: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى}

بمعنى الغفلة، نحو قوله سبحانه على لسان سيدنا موسى -عليه السلام- لفرعون: {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ}

بمعنى المحبة، نحو قوله -عز وجل- على لسان أولاد سيدنا يعقوب: {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}، أي في حب مبين ليوسف، وهو المشار إليه في قوله تعالى على لسانهم أيضًا: {قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ}.

ويكون المعنى على الوجه الثالث: ووجدك محبًا للهداية فهداك إليها.

ويشهد لصحة هذا الوجه والتأويل ما يلي:

أ. ما صح من سيرة رسول الله قبل النبوة، وتحنثه في غار حراء طلبًا للهداية، حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي.

ب.إن من أسماء المحبة عند العرب "الضلال"، قال الشاعر:

هذا الضلال أشاب مني المفرقا .. والعارضين ولم أكن متحققا

عجبا لعزة في اختيار قطيعتي .. بعد الضلال فحبلها قد اخلفا

في الختام..

إنك يا صديقي إذا نظرت إلى هذه التناقضات المزعومة، تجد أنها مجتزئة من سياقها، أو أنها مفسرة على خلاف موضعها في اللغة العربية التي هي لغة القرآن.

وقد أجاب العلماء عن هذا، وبينوا المُشكل للناس بشكل مستفيض ليزول اللبس والإشكال، وقد سمى العلماء هذا الفن، بما يوهم ظاهره الاختلاف والتناقض، أو مشكل القرآن. فلترجع له يا صديقي الباحث عن الحق!

للتواصل مع الكاتب
mohamed.ebeed572@gmail.com

تدليس الإعلام
في عصر الحريّة

محمد عبيد